

تعقيب على A recession on Tony Maalouf, **Arabs in the Shadow of Israel.** The Unfolding of God's Prophetic Plan for Ishmael's Line, Grand Rapids, 2003

مرةً إلى يهود العهد القديم وحيثاً إلى الدولة الصهيونية الحديثة وأن معلوف لا يميز بين هذا وذاك ولا يبدو أنه يرى ضرورة لهذا التمييز (انظر مثلاً ص ٣٧؛ ٢٢٢-٢٢٤؛ ١٠٦؛ ٣٦).

بين أبرز الآراء الواردة في الكتاب نجد وصف معلوف لسفر أيوب كمتجدد في الثقافة العربية (انظر الفصل السادس) واعتقاده بأن سجد المجوس كما يرويه الإنجيلي متى يؤكد الجذور العربية لهؤلاء المجوس ويدلّ إلى عودة أولاد إسماعيل إلى إيمان إبراهيم (ص ٢١٨). يرى معلوف أن الحكيمين آجور ولموثيل المذكورين في سفر الأمثال يحملان أيضاً جذوراً عربية (انظر الفصل السابع). يلفت النظر انتقاد الدكتور معلوف لمنهج بولس الرسول التفسيري لتكوين ٢١: ٨-٢١ في رسالته إلى الغلاطيين (٤: ٢١-٣١). فبالنسبة إلى معلوف تفسير بولس "الرمزي" (allegorical) كما يسميه في الصفحة ٩٨ أو "النمطي" (typological) كما في الصفحة ١٠٦، لا يتفق مع المعلومات الواردة في نص التكوين ويخدم فقط "للحفاظ على حقيقة الإنجيل" (ص ١٠٦) كما يقول.

الجدير بالذكر أن القسم الأكبر من المراجع، أي حوالي الـ ٥٧٪، يطول عمره عن ٢٠ سنة وأن أحدث المراجع، وهي قليلة جداً، تعود إلى السنة ١٩٩٧ أي ست سنوات قبل نشر الكتاب، مع أنه في المقدمة (ص ١٧، ١٩-٢٠، ٣٦) يوحى الدكتور معلوف بأنه يعالج الموضوع بناءً على أحدث الدراسات.

أسلوب معلوف في الكتابة سلس ومنعش وكتابه يغني القارئ بمعلومات هامة حول مسألة معقدة تحتاج إلى الكثير من الدراسات النقدية الحديثة والأبحاث المتعددة الاختصاصات. لعلّ عمل معلوف يكون أحد الحوافز على هذه الأعمال في وطن أهل الضاد.

قام الدكتور طوني معلوف، خريج معهد دالاس اللاهوتي في الولايات المتحدة وأستاذ الكتاب المقدس في المعهد اللاهوتي للمعمدانيين العرب في لبنان، بأبحاث جدية عن هوية "العرب" في الكتاب المقدس، فيأتي هذا الكتاب تبلوراً لتلك الأبحاث.

يحتوي الكتاب على مقدمة عامة، أربعة أقسام وخاتمة، بالإضافة إلى حواشٍ مفصلة تضم أكثر من مائة صفحة، لائحة مراجع وفهرست المواضيع والأسماء. يعرف معلوف عن عمله أنه "يدرس نسل إسماعيل العربي في تاريخ الكتاب المقدس بتفاصيله لكي يرسم المبادئ ويحدد الوقائع التي قد تساعد على تهدئة التوترات المعاصرة" (ص ٣٧). يهدف معلوف إلى تقديم إسماعيل من "منظور مسيحي" وإلى "استرداده" (ص ٣٩) إلى مكانته في الكتاب المقدس.

بعد ما أوجز تاريخ العرب مركزاً على علاقتهم باليهود، يعرض المؤلف في المقدمة نظريته الخاصة إلى تاريخ الكتاب المقدس. فيحدد معلوف ثلاث مراحل زمنية لتاريخ البيبليا وهي مرحلة "نور إسرائيل" التي تمتد من دعوة إبراهيم إلى ملك سليمان، ثم مرحلة "ظلام إسرائيل" من انشقاق المملكة إلى عتبة مجيء المسيح، وأخيراً مرحلة "نور المسيح" التي تغطي زمن العهد الجديد (ص ٣٧-٣٩). ويتوقف القارئ هنا فيتساءل حول الأسباب التي قادت الكاتب إلى هذا التقسيم وهذه التسميات غير المعتادة في الكتب المتخصصة.

يدمج الكتاب المقاربة البيبليّة اللاهوتيّة التي نجدها بالأخص في القسم الأول، مع المقاربة التاريخية التي توافق بين المعلومات الواردة في الكتاب المقدس والمصادر التاريخية الأخرى (مثلاً ص ١١٠-١١٢ و ٢٠٦-٢١٢) وأيضاً مع مقاربة الأديان المقارنة التي تدلّ إلى أهمية القضايا المدروسة في دين الإسلام (مثلاً ص ٤٤-٤٩). ولكن يلاحظ القارئ غموضاً فيما يختص بالمنهج المعتمد عليها من أجل دمج هذه المقاربات المختلفة، فنجد أن "نسل إسماعيل" قد يعني تارة قوم العرب وطوراً دين الإسلام وأن عبارة "إسرائيل" أيضاً قد تدلّ